مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

Global Islamic Economics Magazine

مجلة شهرية علمية تعنى بشؤون الاقتصاد الاسلامي وعلومه تصدر إلكترونيًا؛ وهي وقف لوجه الله تعالى

العدد / 96 / شوال 1441 هـ الموافق أيار / مايو 2020 م

الشيخ صالح كامل
في ذمة الله

اقتصاد الخوف

بين إدارة الأزمات والإدارة بالأزمات

جامعة كاي

جامعة أونلاين

(نحن سباقون في التعليم الالكتروني وقد أثبتت الأحداث صحة رؤيتنا)

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

www.kie.university

اقتصاد الخوف

بين إدارة الأزمات والإدارة بالأزمات

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

الخوف هو شعور ينجم عن خطر مرتقب، مؤداه تغير سلوك الخائف ليتفادى التهديد المحتمل؛ يُعبَّر عنه بالغضب أو التوتر أو الذعر أو الحزن، لذلك فإن الخوف هو عكس الأمن والطمأنينة.

يكون الخوف عقلانيًا إذا كان ضمن حدود منطقية تفرضها ظروف أو بيئة دالة عليه، ويكون غير عقلاني إذا زاد عن الحد المقبول، حيث يتحول إلى إرهاب، والأصل في **الإرهاب** إخافة العدو وبث الذعر فيه؛ لأنه عمل خارجي يُمارس من طرف على طرف للتأثير عليه لتحقيق أغراض معينة، وهو عمل مقصود. أما **الرُهاب** فهو الأثر النفسي الحاد للخوف من شيء؛ سواء كان مصدره خارجيًا كالخوف من عدو، أو داخليًا من الشخص نفسه الذي وقع تحت تأثير الخوف؛ كالقلق من مجهول.

إذن قد يحدث الخوف، وقد يتأثر به سلوك الخائف؛ إقدامًا أو إحجامًا، وهذا هو غرض الإرهاب؛ أي توجيه السلوك باتجاه معين؛ بينما الرُهاب فأثره مَرَضي، ومستمر يضطرب به السلوك، ويحتاج شفاؤه إلى معالجة، لأن المصاب به خرج عن حد الاعتدال؛ حتى بات لا يُرجى منه نفع.

يقول الله تعالى:

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ (الأنفال: ٦٠)

إن مهمة العدو أن يتآمر على أعدائه ليرهبهم، مما يوجب على من يتوقع العدوان أن يتحسب لصده، بالإعداد الحقيقي والصحيح. والمؤامرة قد تكون نتيجتها شكل من أشكال العدوان. ولنا في الحرب الخفية – أحيانًا – بين الولايات المتحدة والصين دروسًا وعِبر لا تنتهي فكل منهما يُعد العدة لإرهاب الآخر، ويكمن له سرًا وعلانية. لذلك لن يفيد الوقوف على الحياد أحدًا؛ فالقوة أساس الاحترام بين الأنداد.

فكيف يكون الخوف إيجابيًا تحذيريًا، وكيف يكون سلبيًا مُرجفًا؟

الخوف إيجابي إذا كان أثره تحول المجتمع نحو الاطمئنان:

الابتلاء التحذيري تنبيه لمن غفل عن شرع الله الخالق لهذا الكون، والسبب أن هناك خطر كبير محدق بالغافل إن استمر في غفلته، وهو خطر أكبر بكثير من الابتلاء الذي أصابه أو يصيبه، وما ذلك إلا بغرض تحذيره من عذاب أبدي قد يصيبه في اليوم الآخر، وهذا ما يُسمى **تحوطًا** في إدارة المخاطر؛ حيث يُدفع بالضرر الأقل أمام الضرر الأكبر.

يقول الله تعالى:

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (البقرة: ١٥٥)

لقد شملت الآية الكريمة عناصر الأمن الاقتصادي؛ فطبقًا للآية فإن الابتلاءات تتنوع؛ فتكون: (١) بنقص الأمن الذي ينجم عنه خوف، و (٢) بنقص الطعام الذي ينجم عنه جوع، و(٣) بنقص الأموال الذي ينجم عن ضياعها شيوع الفقر، و(٤) بنقص الأنفس الذي ينجم عنه موت، و(٥) بنقص الثمر مما تخرجه الأرض والذي ينجم عنه قحط منذر بما بعده من خوف وجوع وضياع أموال وموت.

وتتكرر هذه التحذيرات بشكل دوري مرة أو مرتين سنويًا؛ لتجنب الأسوأ، وهذا من رحمة الله تعالى القائل:

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (التوبة: ١٢٦).

وقد منّ الله تعالى على قريش بأن جعل موقعهم يتوسط تجارتين تحققان لهم وفرة المال والطعام، وذلك بعد أن ضمن لهم الأمن من الخوف الذي كان يحيط بمكة. قال الله تعالى:

وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (القصص: ٥٧)؛ فكانت رحلتا الشام واليمن.

يقول الله تعالى:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (قريش: ١-٤)

إذًا؛ **الجوع والخوف** أداتان تحذيريتان لمن يكفر بأنعم الله، إلا أن العذاب قد يحلّ بجماعة القوم كلهم إن صنعوا ذلك وأشاعوه بينهم؛ فتتبدل حياتهم من رغد العيش ومجتمع الاطمئنان، إلى ضنك العيش الذي يحولهم إلى مجتمع الخوف.

يقول الله تعالى:

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (النحل: ١١٢).

واستنادا إلى سنن الله تعالى خالق هذا الكون؛ فإن الإيمان بالله تعالى والتمسك بشرعه الحنيف هو المخرج من مجتمع الخوف نحو مجتمع الاطمئنان، ومثاله قوم يونس عليه السلام، يقول الله تعالى:

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (يونس: ٩٨).

إن المعنى المستقى مما سبق، أن وجود الإنسان على هذه الأرض ليس ليأكل ويشرب ويتمتع وحسب، بل ليعبد الله تعالى حق عبادته، وما الأكل والشرب إلا وسيلة ذلك، وقد يسّر الإسلام هذا الفهم؛ فأباح التمتع دون الإسراف والتبذير وفوق التقتير، وجعل كل سبل التمتع عبادة إن نوى فاعلها تحقيق رضاء الله تعالى، إضافة للقيام بما فرضه الله تعالى عليه من أركان.

إن زعزعة الأمن الاقتصادي في ظل الخوف الإيجابي؛ أشبه بإحداث أزمة لإدارة دفة تغيير نحو الأفضل؛ لتجنيب الناس الوقوع بما هو أسوأ، وهذا يكون على مستوى الأفراد، كما هو على مستوى الأمة. وما بدا من أزمة كورونا – مبدئيًا – هو أن البيئة بمكوناتها تنفست الصعداء بعدما أفسد الإنسان فيها فساداً عريضًا.

لكن كيف يكون سلوك الناس إذا وقعت جائحة؟

تعرض الفقهاء لفقه الجوائح، بوصفه شكل من أشكال الأزمات، فعرّفوا الجائحة بأنها الآفة التي تصيب الثمرة وتؤدي إلى استئصالها، وهي كل ظاهر مُفسد من مطر، أو برد، أو جراد، أو ريح، أو حريق. وعرّفها اللغويون (حسب لسان العرب)؛ بأنها الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سَنَةٍ أَو فتنة، والجائحة المصيبة تحلّ بالرجل في ماله فتجتاحه كله.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث الدائن على الوضع من دينه في حق المدين حال وقوع الجائحة كمساعدة وعون له، فأمر صلى الله عليه وسلم: (**بوَضْعِ الجَوَائِحِ**) (صحيح مسلم)، والمراد؛ أن يحط البائع من الثمن بما يوازي ما أتلفته الجائحة من الثمار التي اشتراها المشتري والتي أكثرت دينه بما أصابه؛ بهدف:

- استمرار العلاقات المالية بين الناس على أسس صحيحة؛
- حفظًا لحقوق الأطراف،
- إرساء لتكافل اجتماعي بين الناس خاصة في الملمات والمصائب.

وعن **تقدير الجائحة**؛ روى الأَزهري عن الشافعي[1]، قال: جِماعُ الجَوائح كلُّ ما أَذهب الثمرَ أَو بعضَها من أَمر سَماوِيٍّ بغير جناية آدمي، قال: وإذا اشترى الرجل ثمر نخل بعدما يحل بيعه؛ فأصيب الثمر بعدما قبضه المشتري لزمه الثمن كله، ولم يكن على البائع وضع ما أصابه من الجائحة عنه؛ قال: واحتمل أمره بوضع الجوائح، كما أَمر بالصلح على النصف؛ ومثله أمره بالصدقة تطوعًا فإِذا خَلَّى البائع بين المشتري وبين الثمر فأَصابته جائحة، لم يُحكم على البائع بأَن يضع عنه من ثمنه شيئًا؛ وقال ابن الأَثير: هذا أَمر ندب واستحباب عند عامة الفقهاء، لا أمر وجوب؛ وقال أَحمد وجماعة من أَصحاب الحديث: هو لازم يوضع بقدر ما هلك؛ وقال مالك: يوضع في الثلث فصاعداً أي إذا كانت الجائحة في دون الثلث، فهو من مال المشتري، وإن كان أكثر فمن مال البائع.

الاقتصاد السلوكي وأثر المشاعر في رسم سياسة القطيع:

يُقبل الناس عادة على الشراء في حالة ازدهار الأسواق أو توقع ازدهارها، كما يُقبلون على بيع ما يملكونه إذا لاح لهم كساد الأسواق في محاولة للخروج قبل انهيارها.

ويبتعد الناس عن الإنفاق إن شعروا بخطر محدق، خاصة بعد ركود الاقتصاد أو كساده، لذلك تبذل السياسات العامة جهدها لإعادتهم إلى الإنفاق خشية وقوف عجلة الاقتصاد عن الدوران، لما للإنفاق من دور حيوي في إنعاش الأسواق وتحريكها.

ويتميز الاقتصاد الإسلامي بفرض حد أدنى من الحوالات المالية من الأغنياء إلى الفقراء (وهو صدقاتهم من زكاة أموالهم وغيرها)، وبما أن الفقراء ومن في حكمهم من مستحقي الزكاة؛ حيث يكون ميلهم الحدي

[1] لسان العرب، جوح.

للاستهلاك مساوٍ للواحد؛ فسينفقون كل ما يأتيهم لسد حاجاتهم الضرورية. وبذلك لا تتوقف عجلة الاقتصاد تماما عن الدوران مما يؤهلها للحركة ثانية بسرعة ابتدائية إيجابية تساعدها في عودة الحياة الاقتصادية من جديد. وبذلك تحدُّ شريعة الإسلام من أثر المشاعر التي تتحكم بسلوك الناس لأنها جعلت الإيمان بأن الرزق مكفول من الله تعالى هو من الإيمان الراسخ؛ مما يحد من سياسة القطيع ويبقي حركة الاقتصاد السلوكي إيجابية دومًا.

يقول الله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (البقرة: ١٧٠-١٧١)

يأتمر القطيع بصراخ الراعي؛ أي بدعوته للاجتماع أو اتباعًا لندائه، ثم تراه يسير خلف قيادته كالكبش أو ما شابهه؛ حيث يُوضع في رقبته جرسًا ليلحق به من خلفه، فيسير القطيع على خطى زعيمه دون تفكير ولو كان السير للذبح والسلخ، فهم صمٌ لا يسمعون؛ بكمٌ لا ينطقون؛ عميٌ لا يرون؛ وهم بالنتيجة لا يعقلون أي لا يدركون حقيقة الأمور ولا يميزونها.

وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن يكون الناس (إمعات)، فقال: **(لا تكونوا إمَّعةً تقولون إن أحسَن النَّاسُ أحسنَّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطِّنوا أنفسَكم إن أحسَن النَّاسُ أن تُحسِنوا وإن أساءوا أن لا تظلِموا)**؛ فالسلوك الذي مؤداه الظلم لا يصح فعله، بل لابد من فعل الأحسن.

الخوف سلبي إذا كان أثره تحول المجتمع نحو الخوف والإرجاف:

إن إشاعة الرعب بين الناس منهج اتبعته مدارس عديدة عبر التاريخ. وهو منهج مذموم.

فقد سادت نداءات تخيف الناس وتحبطهم، حدث ذلك في المدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك. قال الله تعالى:

لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (الأحزاب: ٦٠)

ذكر الطنطاوي في تفسيره الوسيط؛ بأن المرجفين في المدينة: هم الذين كانوا ينشرون أخبار السوء عن المؤمنين ويلقون الأكاذيب الضارة بهم ويذيعونها بين الناس. وأصل الإرجاف: التحريك الشديد للشيء، وهو مأخوذ من الرجفة التي هي الزلزلة. ووصفت به الأخبار الكاذبة، لأنها في ذاتها متزلزلة غير ثابتة، أو لإحداثها الاضطراب في قلوب الناس.

وذكر القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس: الإرجاف التماس الفتنة، وإشاعة الكذب والباطل للاغتمام به. وقيل: تحريك القلوب، يقال: رجفت الأرض – أي تحركت وتزلزلت – ترجف رجفًا. والرجفان: الاضطراب الشديد، والرجاف: البحر، وسمي به لاضطرابه.

وذكر ابن عاشور في تفسيره أن الإرجاف: إشاعة الأخبار، وفيه معنى كون الأخبار كاذبة أو مسيئة لأصحابها يعيدونها في المجالس ليطمَئِّن السامعون لها مرة بعد مرة بأنها صادقة؛ فالإشاعة إنما تُقصد للترويج بشيء غير واقع أو مما لا يُصدَّق به لاشتقاق ذلك من الرجف والرجفَان وهو الاضطراب والتزلزل، والمرجفون قوم يتلقون الأخبار فيحدِّثون بها في مجالس ونَوادٍ ويخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل. وكان **أكثر المرجفين من اليهود** وليسوا من المؤمنين لأن قوله عقبه: (لنغرينك بهم) لا يساعد أن فيهم مؤمنين.

لقد سادت في القرون الأخيرة نداءات تخيف الناس وتحبطهم؛ كهستيريا انتشار الوباء، وهستيريا التغير المناخي، وهستيريا الكساد الاقتصادي وما يصاحبه من انهيارات، واستغلت وسائل الإعلام التقليدية والحديثة تحقيق تلك الهستيريا.

وقد انتشر بين الناس كلام كثير عمن يتحكم بالعالم ويحركه كما يشاء.

قادت ذلك في القرون الماضية حركة سميت **بالماسونية** تقودها مجموعات **يهودية**؛ بهدف السيطرة على السياسة في العالم، لكن نجمها أفل، وانحل دورها وصار باهتًا لأنها اعتمدت على تربية أشخاص متنفذين يساعدونهم في استلام مناصب رفيعة في بلادهم ثم يقودون الناس بغطرسة وحكم استبدادي لتحقيق مآرب أولئك الأشرار وبما أن الموت مصير كل شيء فإن ديمومة أولئك الأشرار تصطدم بالموت لينتهي أثرهم.

ودرج مدرج هذه الحركة **مدرسة شيكاغو النقدية**؛ بهدف السيطرة على الاقتصاد في العالم، والتي كتبنا عن سياساتها عدة مرات[1]؛ فقد زعزعت اقتصاد بلدان عديدة تمهيداً لسرقة خيراتها.

ومؤخراً ظهرت **طائفة CULT الدينية**؛ التي تتعدى الحدود؛ لتعمل في جميع الدول الكبرى، وتمثل صميم النظام في الصين والولايات المتحدة الأمريكية، تهدف إلى إنشاء دولة عالمية طاغية هرمية، رأسها ١٪ من أغنياء العالم[2]، وقاعدتها عامة الناس من الفقراء والمساكين؛ أي مجتمع الجائعين الذي تحكمه Hunger games والعبارة مقتبسة من عنوان فيلم سينمائي، ويكون بين الطبقتين طبقة من العسكريين المتجبرين، وهم بمثابة دولة عسكرية شرطية شريرة عديمة الرحمة يعملون على تحقيق هذا النظام لمصلحة ال ١٪ وفرض إرادتهم واستعبادهم للناس. وهذا شبيه (بالكربوقراط؛ الذي تمثله الشركات الكبرى، والبنوك الدولية، والحكومة، حيث يُنشد تنمية الاقتصاد وتقويته عن طريق إثراء قلة من الأشخاص ممن يتربعون على قمة الهرم الأكثر ثراء في العالم)[3].

لقد استخدمت تلك المدارس والجماعات؛ الإدارة بالأزمات لإحداث تغييرات شمولية عالمياً؛ فافتعلت الأزمات وأظهرتها كأحداث عشوائية لإرهاب الناس، وانتظرت التغيير لحصد النتائج، وكسب التغييرات، وتوظيفها ضمن رؤية شاذة لبعض القادة والمخططين. ولعل أزمات (كورونا والتغير المناخي والكساد وغيرها) أحداث عشوائية خضع حصولها للصدفة، وإذ بتلك الأحداث تمثل خطوات على الطريق الذي ينشده أولئك الأشرار، فسلاح الخوف هو ما يسوقونه لأنه وسيلة إحكام السيطرة؛ بإثارة الرعب والإرجاف، ومن شدة مكرهم أنهم يُحسنون ركوب الموجة في الوقت الصحيح، والنزول منها في الوقت المناسب؛ ليبدو للعالم أنهم مهرة في التخطيط والتنفيذ وهذا ليس صحيحاً بالمطلق.

---

[1] للمزيد يمكن الرجوع لمقالاتنا:
(١) **قراءة في مذكرات قرصان اقتصادي** (العدد ٣٥-٢٠١٥، رابط).
(٢) **المذهب الاقتصادي لمدرسة شيكاغو النقدية هل هو مذهب الأشرار؟ (ميلتون فريدمان) أنموذجا** (العدد ٥٧-٢٠١٧، رابط)

[2] فيديو: النيو مالتوسية (الفاشية الجديدة) وما هي علاقة بيل غيتس بـ كورونا؟، رابط المشاهدة

[3] للمزيد يراجع كتابنا الأخير: السياسات النقدية والمالية والاقتصادية المثلث غير المتساوي الأضلاع بنظرة إسلامية، منشورات كاي، ٢٠٢٠، رابط التحميل: https://kantakji.com/4708/

لقد وصف الله عملهم بالمكر. يقول الله تعالى:

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

(الأنعام: ١٢٣)

ووعدهم الله تعالى؛ بأن ذاك المكر السيء لن يحيق إلا بأهله، فهذه سنة من سنن الله تعالى في أرضه.

يقول الله تعالى:

اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (فاطر: ٤٣)

لقد تفطن الإسلام لهذه الألاعيب الماكرة منذ بزوغه – ومثالها حادثة الإرجاف التي ذكرناها آنفا –؛ فسلّح أتباعه بالعلم والمعرفة بوصفهما أدوات صد الخوف غير العقلاني أو المدبر (أي المؤامرة)، فتراه يأمرهم ألا يخافوا إلا من الله لأنه هو الضار وهو النافع، وهذه عقيدة راسخة، أما التخويف والمكر بالناس فمنهج شيطاني.

يقول الله تعالى عن أصحاب هذا المنهج:

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (آل عمران: ١٧٥)

ويقول أيضًا:

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

(البقرة: ٢٦٨)

ويقول أيضًا:

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (الزمر: ٣٦)

إن المسلم لا يخاف من المستقبل ولا من المجهول، فلديه من الإخبار الصادق ما يكفي رد خوفه.

يقول الله تعالى:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (يونس: ٦٢)

فالمسلم لا يخاف الموت أو لقاء الله، ولا يخاف من قضاء الله لأن الله عدل وحكمه عدل، ولا يخاف الجوائح؛ كنقص الماء لأن المطر يتحكم به خالق كل شيء، وقد علّم الله المؤمنين أن الاستغفار سبيل من سبل طلب الماء، وعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء لاستزادة الماء.

والمسلم لا يخاف الفقر ونقص الرزق لأن رزقه مكتوب له من ربه جلّ في علاه:

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (هود: ٦).

وما من دابة تحمل رزقها بل آتيها حسب حاجتها من رب لا ينسى ولا يضل وعلى الإنسان أن يسعى ولا يقعد:

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (العنكبوت: ٦٠)

والمسلم لا يخاف الضرّ، ولا ينفع معه التهويل والتخويف، لأن اعتقاده الراسخ أن الضار والنافع هو الله دون غيره.

يقول الله تعالى:

قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ (الأعراف: ١٨٨)

بل إن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم زرع الإيجابية في نفس المؤمن بغض النظر عما يصيبه فقال: **(عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له)** (صحيح مسلم).

كما نهى الإسلام عن تقنيط الناس وتخويفهم، قال صلى الله عليه وسلم: **(إِذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهو أَهْلَكُهُمْ)** (صحيح مسلم)، وهذا حال من ينشر الذعر والخوف بين الناس هذه الأيام.

وإن في قصة يوسف عليه السلام التي حكاها لنا القرآن؛ بيان برحمة الله بالناس، فالله تعالى أرى الملك مناماً فيه تحذير من خطر قادم قد يُهلك الناس إن لم يتدبروا أمرهم، ولم يفهم تلك الرؤيا من كان يسمون أنفسهم بالقادة والحكماء فسفّهوا الرؤيا. ولما وصل الأمر ليوسف عليه السلام، فسّر الرؤيا وأحسن فهمها،

فاستعان به الملك لإدارة الأزمة لما رأى فيه من الحفظ والعلم؛ **فحوّل يوسف عليه السلام خوف الملك إلى خطة رشيدة حقق فيها للناس الأمن الاقتصادي ودرأ عنهم الخوف والفقر.**

إنها سنة الله تعالى في خلقه الصالحين الذين يداومون على ذكر الله تعالى حيث تتحقق لهم الطمأنينة فينشروها بين الناس، يقول الله تعالى:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد: ٢٨).

وقد أوضح الله تعالى حقيقة الحياة الدنيا لعباده، فقال عز وجلّ:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (الحديد: ٢١)

لذلك يجب على المؤمنين أن يتسابقوا في طلب المغفرة من الله تعالى، يقول عزل وجلّ:

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (الحديد: ٢٢).

والمؤمن مُسلِّم لربه مستسلم لقضائه؛ لأن حقيقة الأمور أن كل شيء في علم الله العزيز، يقول تعالى:

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (الحديد: ٢٣)

يستفاد من ذلك؛ نجاة الإنسان مما يصيبه في هذه الدنيا، فلا يتوقف حسرة على ما فات، ولا فرحًا بما أوتي من خير، يقول الله تعالى:

لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (الحديد: ٢٤)

ونختم بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي في صحيحه، ففيه الكلام الجزل حيث السلامة من كل خوف وإرهاب، وفيه كل طمأنينة وسلامة:

(كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا قال يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تجُاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ) .

حماة (حماها الله) ٢٢ رمضان ١٤٤١ هـ الموافق ١٥ أيار/ مايو ٢٠٢٠ م